الطريقة الرحمانية ودورها في الجهاد

د. عليوان اسعيد *

مقدمة

يعد التصوف من أهم مميزات الواقع الإجتماعي كما يغوص بجذوره في العمق الحضاري للمسلمين، وقد ساهم رجاله مساهمة خطيرة إن سلبا أوإيجابا في تحديد مصير المسلمين وتوجيه تفكيرهم وسلوكهم، بل وتحديد مستقبلهم أيضا، مما جعل أولي الألباب يختلفون اختلافا بينا في إصدار أحكامهم عليه وعلى رجاله، فبعضهم يعده مع رجاله انحرافا عن الإسلام وسببا لانحطاط المسلمين، وبعضهم الأخر يذهب عكس ذلك، وهوما يبين صعوبة دراسة التصوف ورجاله دراسة موضوعية، ولا سيما أنه مرتبط بالذات العارفة مما يعسر على الباحث التجرد من موروثه الثقافي والتخلص من ذاتيته. ومن هنا فلكي نصل إلى ما يجب من موضوعية وبعد عن الذاتية، أن ننظر إلى التصوف ورجاله من خلال معايير ثابتة، ونقيسه بمقاييس موضوعية، ونرى هذه الغاية متحققة إذا نظرنا إليه ورجاله من خلال معيارين جوهرين، أحدهما هو الأصل، ويتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من حيث مدى قربه أوبعده عنهما، والثاني ناتج عنه – ويتعلق هنا بالواقع الجزائري- ويتمثل في الموقف من الإستعمار الفرنسي، ونعتقد أننا بتطبيق هذين المعيارين يتأتى لنا الوصول إلى أحكام صحيحة.

---

* أستاذ محاضر بكلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير

ولما كان موضوع بحثنا هو الطريقة الرحمانية فإننا نطبق عليها وعلى صاحبها هذين المعيارين لننصفه من جهة، ولتظهر لنا مكانة طريقته ومساهمتها في تغيير الواقع الجزائري في فترة من أحلك فتراته هي فترة الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى. ونبدأ هذا البحث بالتعريف بصاحب الطريقة.

التعريف بصاحب الطريقة الرحمانية:

هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف ... الجرجري الزواوي الأزهري، ينحدر من قبيلة آيت إسماعيل من عرش قشطولة وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما[1]، ولد بين 1127هـ و1142هـ [2] الموافق 1715م و1729م في بني إسماعيل، وتوفي بمدينة الجزائر[3] سنة 1208هـ / 1793م ودفن بمقبرة الحامة التي سميت باسمه[4].

عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة..

[1] أبوالقاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط1. مؤسسة الرسالة؛ بيروت. المكتبة العتيقة. تونس، 1982م، جـ2، ص 457.

[2] يذكر الحفناوي أنه ولد بين سنتي 1126 و1133 هـ (الحفناوي، المرجع نفسه، ص 457).

[3] يذكر الحفناوي أنه توفي في آيت اسماعيل فدفن بها ولكن أهل الجزائر نقلوه ذات ليلة خفية إلى ضريحه بقرب الحامة، فأدرك أهله ذلك وعزموا على رده، فآل الأمر إلى النزاع وانفصلت النازلة بوجوده في قبره عندهم أيضا، فسمي من يومئذ بأبي قبرين، الأول في جرجرة، والثاني في الجزائر، وكلاهما مزار متبرك به (الحفناوي، المصدر نفسه، ص 459). ولكن هذا الكلام لا يستقيم إلا إذا طلب منا إلغاء عقولنا التي جعلها الشرع الحكيم مناط تكليفنا.

[4] رابح بونار، مدينة الجزائر، تاريخها وحياتها الثقافية، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ماي. جوان، 1972 م، ع8، ص 87.

دراسته ورحلته في طلب العلم:

لقد درس الشيخ محمد بن عبد الرحمن بزاوية الشيخ الصديق بن عراب بـ "آيت إيراثن" ثم توجه إلى المشرق ليمكث به ربع قرن، تعلم خلال تلك الفترة بالأزهر، وتجول في المشرق الإسلامي ليعود حوالي سنة 1177هـ / 1763م إلى قرية آيت إسماعيل ليؤسس بها زاويته، وذلك بعد تلقيه تعاليم الطريقة الخلوتية[1] بالقاهرة أو بمكة، مما جعل طريقته تتأثر بها كثيرا، وهاهو الحفناوي يبين لنا تفاصيل تلك الرحلة فذكر بأنه رحل إلى القاهرة لمجاورة الجامع الأزهر صغيرا، وتزوج بها، ولما أتم دراسة علوم عصره هناك واكتمل نضوجه العقلي أمره شيخه في الطريقة محمد بن سالم الحفناوي المصري (ت 1181هـ / 1767م) بالتوجه إلى السودان، أي الدول

---

[1] الطريقة الخلوتية: طريقة فارسية في سندها، نشرها بمصر كمال الدين البكري (ت 1162 هـ / 1748 م)، ويرد في إسنادها أبونجيب السهروردي (ت 563 هـ / 1162 م) مؤسس السهروردية وتلميذه شهاب الدين السهروردي (قتل سنة 587 هـ / 1191 م). وتقوم على الذكر بالكلمة الطيبة بكيفية مخصوصة، ثم الإشتغال بذكر الجلالة، ثم تذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب: هو. حق. حي. قهار. وهاب. فتاح. واحد. أحد. صمد. قيوم ...إلخ وقد تأثرت الطريقة الرحمانية بهذا وبغيره من هذه الطريقة (أبوالوفاء الغنيمي التفتزاني. مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة، 1988 م، ص 245. أيضا. أبوسالم العياشي (رحلة العياشي المسماة) ماء الموائد، طبعة حجرية، دار الطباعة. فاس. 1316 هـ، جـ2، ص218، أيضا عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، د ط. مطبعة ومكتبة محمد علي صبيح. القاهرة. د ت، جـ1، ص 120، 121، أيضا: أبوالقاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص 461).

الإفريقية جنوب الصحراء – وليس السودان الحالي– لنشر الطريقة الخلوتية. وهذا يعني أن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري هاجر إلى إفريقيا جنوب الصحراء لنشر الإسلام هناك، مثلما فعل من قبل العلامة الجزائري محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ / 1503م) ولكن الفرق بينهما أن المغيلي ترك لنا مؤلفات عن رحلته جعلتنا نطلع على مجهوداته هناك عكس الشيخ عبد الرحمن الجرجري الذي لم يعثر له على أي أثر يعرفنا بتفاصيل مجهوداته في نشر الإسلام هناك.

ومهما يكن من أمر فإن الشيخ محمد بن عبد الرحمن يعد من الجزائريين الذين ساهموا في نشر الإسلام في الدول الإفريقية جنوب الصحراء فكونوا حصانة ذاتية لشعوبها واجهت بها الاستعمار الغربي الحديث، ولما كان الشيخ محمد بن عبد الرحمن قد سافر إلى الدول الإفريقية بأمر شيخه فإنه رجع منها إلى مصر بأمر شيخه أيضا، وقد عاد إلى مصر ليتصوف رسميا على طريقة شيخه وهي الطريقة الخلوتية كما ذكرنا قبلا، حيث ألبسه الخرقة وأمره بالعودة إلى الجزائر للتربية والتعليم، فرجع سنة 1183هـ / 1769م ليأخذ في نشر الطريقة الخلوتية والدعوة إلى الالتزام بالشريعة ومكارم الأخلاق، فانجذب إليه سكان التل والصحراء، وطلبه عمال المدن الكبرى ولا سيما داي الجزائر محمد عثمان باشا[1] فدخل الجزائر العاصمة

[1] الداي محمد عثمان باشا حكم الجزائر من سنة 1766م إلى 1791 م، كان عادلا ملتزما بأحكام الشريعة، محبا للجهاد، تبرع بكل ماله للخزينة مشترطا تخصيصه للجهاد. اهتم بالجانب العمراني وبناء الحصون والأبراج لحماية الجزائر من الغارات الصليبية. كما اهتم ببناء المساجد وشق قنوات المياه وإيصالها إليها وكذا إلى الثكنات والحصون والأزقة. توفي في

فاحتفل به علماؤها في الجامع الأعظم بحضور الداي محمد عثمان باشا الذي ترأس الحفل، فبذ الحاضرين فازداد إعجاب الداي به فاستضافه في بيته أياما ليلقن أهله وأقاربه الطريقة الخلوتية. ثم عاد إلى موطنه لنشر علمه وطريقته، فاشتهر واشتهرت طريقته قبل أن يأخذه الله إليه في سنة 1208هـ/93-1794 م. وقد ترك رسائل كثيرة في التعليم والإرشاد، جمعها أكابر رجال طريقته ولكنها لم تر بعد نور الطباعة[1]، وهذا إن لم تكن قد ضاعت.

كيفية إعطاء الطريقة:

إن الطريقة الرحمانية هي في أصلها الطريقة الخلوتية، وشيخ الطريقة هو الذي يجيز من يراه أهلا لإعطاء أورادها كما أذن له شيخه بذلك وأوراد هذه الطريقة هي:

أول الورد: لا إله إلا الله، ثم الله، ثم هو، ثم حق، ثم حي، ثم قيوم، ثم قهار. يشتغل بها المريد بالتدريج والترقي حتى يصل إلى العلامات، وتذكر ليلا ونهار، وفي كل زمان ومكان ولا يشترط في ذكرها الطهارة.

يذكر المريد أولا: لا إله إلا الله خاصة من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس، ثم يبدلها بالصلاة الشاذلية، ونصها: ((اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)). وذلك من عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة، ثم يبدلها بصلاة الأمي، ونصها: ((اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم)) ثمانين مرة فتكفر له في اعتقادهم ذنب ثمانين سنة وتغفره له. ثم يعود من جديد إلى:

1205هـ/ 1799م ' أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، ' 1766 – 1791' د ط. م. و. ك. الجزائر. 1986، ص 137'.

[1] الحفناوي المصدر السابق. ص 457-460.

((لا إله إلا الله)) من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس، وهكذا دواليك طول العمر كما نص على ذلك الشيخ أحمد بن عبد الرحمن[1].

سند الطريقة:

يذكر أصحاب هذه الطريقة سندها وسلسلتها فيذكرون أن الله عز وجل لقنها لجبريل عليه السلام وجبريل لقنها لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقنها لعلي رضي الله عنه وعلي لقنها للحسن والحسين وهكذا إلى الشيخ محمد الحفناوي الذي لقنها للشيخ محمد بن عبد الرحمن. وهو لقنها لمن أتى بعده[2]. وهذا في الواقع لا يمكن قبوله لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث ليعلمنا الإسلام لا ليعلمنا الطرق الصوفية، كما أن هذا السند يخالف أسانيد طرق أخرى، وهي تدعي كذلك أنها من الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزة.

كيفية تلقين الورد:

إن تلقين الورد يعني إعطاء الطريقة رسميا، ويبدأ أولا بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ويقبض الشيخ إبهام المريد الأيمن، وكلاهما غاض بصره، ويأمره بذلك، ويقول له: اسمع مني لا إله إلا الله، والمريد ساكت إلى أن يفرغ منها الشيخ ويسكت، ثم يذكرها المريد ثلاثا والشيخ ساكتا. ثم يقرأ الفاتحة لإصلاح حاله، ثم يقرأ الفاتحة ثانية لروح النبي صلى الله عليه

[1] المصدر نفسه، ص 460، 461. ومن أراد التوسع في ورد هذه الطريقة فليرجع إلى عبد الرحمن باش تارزي، ورد الطريقة الرحمانية، دط. الزاوية الرحمانية. قسنطينة 2001، ص4 ...

[2] المصدر نفسه، ص 461-463.

وسلم وثالثة لروح شيخه وأهل السلسلة. ويأمره بالتوبة وإكثار الذكر ليلا ونهارا.

ما سبق هو الإجازة والسلسلة على الطريقة وهو الإجازة الكبرى ثم بين الشيخ محمد بن عبد الرحمن الإجازة والسلسلة على الشريعة، وهي الإجازة الكبرى أيضا وتتعلق بإجازته فيما صح له روايته أوثبتت له درايته من فقه وغيره، ويبدأ من شيخه علي بن أحمد الصعيدي العدوي إلى أنس وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم[1].

بعد تبيين الإجازة والسلسلة على الطريقة والإجازة والسلسلة على الشريعة وكلاهما إجازة كبرى خاصة انتقل الشيخ محمد بن عبد الرحمن إلى الشروع في الوصية كما تلقاها عن شيخه.

الوصية:

يطلب الشيخ من مريده أن يسمع لوصيته ويعمل بها، ويحثه فيها على التقوى في جميع الأحوال، والإخلاص ويأمره باتباع الكتاب والسنة لأنهما الطريق الموصول إلى الله عز وجل، وعدم العمل من أجل الكرامات وخوارق العادات وأن يعمل على نصرة الدين وعز الإسلام خاصة، ويأمره بالزهد والإحسان والرحمة وكثرة الصيام ((ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدميك، والميزان بين يديك، والرب مطلع عليك)) [2] [3].

ويذيل الشيخ محمد بن عبد الرحمن ما سبق بأن الإجازات السابقة التي تلقاها

---

[1] المصدر نفسه، ص 463، 465، 466.

[2] المصدر نفسه. ص 467، 468.

[2] ما أوردناه في الوصية إنما هومقتطفات منها، ومن أراد الإطلاع عليها كاملة كما نص عليها محمد عبد الرحمن فليرجع إلى الخفتاوي، المصدر السابق ص 466. 467، 468.

عن شيخه الحفناوي خاصة وعامة، أي إجازة عامة في سائر العلوم والأوراد والحركات والسكنات والأقوال والأفعال، وكل ما تعلمه إذن عام له ولغيره ممن أنتمي إليه، وقد أعطاه شيخه الحفناوي هذه الإجازات كلها كتابة ومشافهة كما نص على ذلك هو بنفسه[1] وهو ما أهله لنشر العلم والطريقة معا.

المصافحة وسندها:

المصافحة تعد من أهم وسائل أخذ الطريقة، وهي وضع اليد على اليد وضمها بشدة قليلا، وأثناء وضع اليد على اليد فإن الشيخ يذكر لمريده سند هذه المصافحة، منه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[2] وهو ما حدث بين الشيخ محمد بن عبد الرحمن وأستاذه الحفناوي[3]، وبكل ما سبق أصبح الشيخ محمد بن عبد الرحمن متصوفا على الطريقة الخلوتية مأذونا له بنشرها، وهي ما أصبح يعرف نسبة إليه بالطريقة الرحمانية، وهي في أساسها موافقة للكتاب والسنة، وما ذكرناه في قضية سندها يمكن تأويله باعتبارها نابعة من الإسلام وهو ما كان يتصوره الشيخ محمد بن عبد الرحمن في اعتقادنا. وهو ما بينه تطور الأحداث بعد التأسيس مما يدفعنا للإشارة إلى انتشارها.

نتشار الطريقة الرحمانية ودورها في الجهاد:

رغم أن الشيخ محمد بن عبد الرحمن لم يخلف ولدا من صلبه إلا أن طريقته

---

[3] المصدر نفسه، ص 469، 470.

[2] المصدر نفسه ص 470، 471.

[3] ومن أراد التوسع في معرفة ما تقوم عليه هذه الطريقة من شروط التربية وآداب الحضرة والذكر والذاكرين فليرجع إلى عبد الرحمان باش تارزي. المنظومة الرحمانية في الآداب الشرعية المتعلقة بالطريقة اللخلوتية. تصحيح عبد الحميد بن باديس. ط3. الزاوية الرحمانية. قسنطينة، 2001، ص 13...

انتشـــرت انتشـــارا كبيرا، نشرها هو ثم مشـــايخ طريقـــته[1] فانتشرت في وسط الجزائر وشرقها وعمت كل منطقة القبائل وامـــتدت إلى الجـــنوب والـــــزاب[2]. وأصبح لها أتباع كثر في كل من الجزائر وتونس وافريقيا جنوب الصحراء[3]. وقد أشرنا قبلا إلى زيارة الشيخ محمد بن عبد الـــرحمن إلى افريقـــيا عندما كان يدرس بالقاهرة – مما مهد الأرضية لها هناك – وســـاهمت مساهمة فعالة في نشر التعليم، وتعريب اللسان البربري، وكان لها أتباع كـــثر عشـــية الاحتلال الفرنسي[4] الذي قاومـــته مقاومة منقطعة النظير تحت لواء الأمـــير عـــبد القادر الذي قاد بزعمائها ومـــريديها هجومه الأخير على العاصمة بغـــية استردادها في سنة 1846م[5] وبعد سقوط الأمير تزعمت حركة الجهاد على المستعمرين، وسنكتفي بالإشارة إلى اثنين مـــن أبطالهـــا في ذلـــك:هما لالا فاطمة نسومر والمقراني مع صهره ابن الحداد

1– لالا فاطمة نسومر:

تعـــد لالا فاطمـــة نسومر من النساء اللائـــي بلغنا شأوا كبيرا ودخلن تاريخ الـــبطولة والمجد والعظمة والجهاد من بابه الواســـع ممـــا يجعلها نموذجا فذا للمرأة الجزائرية خاصة والمسلمة عامة.

نشـــأت في أحضان أسرتها الرحمانية

---

[1] الخفناوي، المصدر السابق. ص 460.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعيدلي. الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) دط. وزارة الـــثقافة والسياحة، م وك. الجزائر 1984، ص 188.

[3] الخفناوي المصدر السابق. ص 460.

[4] أبوالقاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1981، جـــ 1 ص 514.515.

[5] أبوالقاســـم ســـعد الله. الحـــركة الوطنية الجزائرية، ط 1.م.و.ك. الجزائر، 1992. جـــ 1.ق.1، ص 271.

الذائعة الصيت، فأبوها الشيخ الطيب المشرف على زاوية ورجة الرحمانية[1]، وأمها لالا خديجة المسماة بها قمة جرجرة. ولدت لالا فاطمة نسومر حوالي 1246هـ/1830م[2] فكانت بنت حسب ودين، امتازت بالعلم والأدب والجمال والذكاء[3]. اختارت النسك والانقطاع للعبادة والتبتل، ولما أكرهت وهي في سن 16 على الزواج افتعلت ليلة زفافها المس من الجن محطمة ما في البيت من أثاث وأدوات مما جعل زوجها يرجعا توا إلى بيت أهلها معتقدا جنونها، فاستقرت في بيت أخيها الأكبر سي الطاهر – دون طلاق- بقرية سومر من قرى زواوة، فأخذ الناس يلتفون حولها لما بدا عليها من بعد النظر واستشراف المستقبل، وما أن حلت الفترة 1260هـ / 1261هـ / 1844-1845م فترة توغل جيش الإحتلال الفرنسي في أرض زواوة ووقوع المعارك الطاحنة بينه وبين أهلها حتى أخذت شهرة لالا فاطمة الحربية تطبق آفاق البلاد منذ 1261هـ / 1845م. حيث كانت تخوض المعارك بنفسها إلى جانب الشريف بوبغلة (محمد بن عبد الله) الذي قدم من سور الغزلان وخاض عدة معارك في بني منصور وغيرها، ثم التحق بجرجرة ليلتحم بجيوش راندون القادمة من العاصمة، المعززة، بجيوش ماكماهون القادمة من قسنطينة وجيش الجنرال يوسف.

وإذا كانت منذ 1261 هـ / 1845م تخوض المعارك إلى جانب بوبغلة، فإنها تزعمت جيش المجاهدين في رد العدوان

---

[1] أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ق1. ص 369.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1415 هـ/1994م. م4، ص 315، 316.

[3] أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ق1. ص 369.

عن بلاد ازواوة ابتداء من أربعاء ايت ايراثن فهاجمت العدووقطعت عليه طرق المواصلات وألحقت به هزائم شتى، وقد قويت شوكتها بما انضم إليها من قادة الأعراش وشيوخ القرى والطرق الصوفية، فأبهرت جيوش الاحتلال ببسالتها ومهاجمتها لمراكزهم المتقدمة حتى أطلقوا عليها جان دارك وقد تمكنت من إنقاذ بوبغلة من براثن العدوبعد سقوطه جريحا في المعركة مما جعله يكبرها في نفسه بعد انبهاره بشجاعتها النادرة فيتقدم لخطبتها، ولكن الظروف حالت دون ذلك[1] ولما استشهد بوبغلة يوم 26 ديسمبر 1854م واصل أهل زواوة جهادهم بقيادة لالا فاطمة نسومر لجيوشهم ابتداء من 1261هـ/1855م إلى 1263هـ/1957م فأصبحت تجمع بين قيادة الجيش وقيادة زاوية ورجة، وقد رمت الزاوية الرحمانية الأم بكل ثقلها في المعركة بقيادة الحاج عمر، وقد انضم إليها الصادق بن عراب، وسي الجودي الذي كان قد تعاون مؤقتا مع الفرنسيين، وغيرهم[2]. وقد خاضت لالا فاطمة عدة معارك انتصرت فيها على راندون ومكماهون وأجبرتهما على الانسحاب إلى تيزي وزويجران وراءهما عار الهزيمة[3]. ولكن جيش الاحتلال كرر الهجوم بقوة قوامها 45 ألفا يقودهم عدة جنرالات على رأسهم الجنرال راندون والمارشال ماكماهون، وشرع يستولي تدريجيا على منطقة القبائل، ولالا فاطمة تواجه تلك الجحافل المدججة بأحدث الأسلحة، بحوالي 7 آلاف مجاهد، فانكسر جيشها

---

[1] عبد القادر الجيلالي، المرجع السابق، ص 316، 317، 318.

[2] أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية. ق1، ص 369، 370.

[3] عبد الرحمان الجيلالي. المرجع السابق، ص 318.

وأسرت يوم 19 ذي القعدة 1273هـ/ 11 جويلية 1857م[1].

مما سبق نستطيع القول بأن لالا فاطمة نسومر الرحمانية من النساء القلائل الأفذاذ الخالدات بأعمالهن العظيمة وبطولاتهن النادرة. وأنها جمعت بين قيادة الزاوية وقيادة الجيوش، وأن جيشها كان به عدد معتبر من النساء المجاهدات، وهو ما يبين مكانة المرأة في هذه الطريقة، ومكانتها في المجتمع، وأن لالا فاطمة خاضت الحروب الطاحنة من أجل دينها ووطنها، خاضتها مقودة وقائدة، فأما مقودة، فقد خاضت غمار الحروب مبكرا، بحيث أخذت شهرتها الحربية في الظهور ابتداء من 1845 م. وأما قائدة، فقد قادت ثورة أهل زواوة (منطقة القبائل) من 1855م إلى1857 م وواجهت حاكم الجزائر العام الجنرال راندون الذي عين في 11 ديسمبر 1851م وأراد استكمال إخضاع منطقة القبائل، وجعلت زاويتها مركزا قويا للجهاد بتشجيع الحاج عمر رئيس الطريقة الرحمانية، استمرت الثورة في أنحاء جرجرة تحت تأثيرها وقيادتها من 1855م إلى 1857م وظلت حاملة راية الجهاد لتحرير الجزائر إلا أن أسرت في 11 يوليو 1857م وهي مرتدية ثيابا حمراء رمزا للدم والمقاومة والجهاد والحرية، فسجنت بسجن تابلاط إلى وفاتها في سنة 1863م ودفنت بإحدى زوايا بني سليمان[2].

2-المقراني[3] وصهره ابن الحداد[1]

---

[1] المرجع نفسه، ص 318، 319.

[2] أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية. ق1. ص 369، 370.

[3] هوالحاج محمد بن الحاج أحمد المقراني، ينتهي نسب أسرته التي استوطنت "مجانة" إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وقد شاركت أسرته في المقاومة مع أحمد باي، وبعد انكساره عينت فرنسا محمد المقراني باشاغا على مجانة، ولكنها أحست بخطورته، فضايقته، جاهد حتى

استشـــهد في معـــركة واد سغلات قرب سور الغـــزلان وهوقـــائم يصلي صلاة ظهر يوم 15 صفر 1288هـــ / 6مايو1871م، (يحي بوعزيز ثـــورة الجزائـــر في القرنين 19، 20، ط1. دار البعـــث، قسنطينة، 1980م، ص 202. أيضا: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، جـــ4 . ص: 307)

[3] هومحمد أمزيان بن علي بن محمد الحداد، ولد ونشأ بقرية "صدوق" من ولاية بجاية، فتعلم بمدرسة أبيه ثم بزاوية الشيخ بن أعراب بزواوة، فانخـــرط في الطريقة الرحمانية وعاد إلى صدوق فأســـس بها مسجدا وزاوية، فتوافد عليه الطلبة والمـــريدون وأصـــبح رئيسا للطريقة الرحمانية. فاتصل به المقراني في مارس 1871 م ليضمه إلى الثورة. فوافق رغم طعنه في السن، وأعلن الجهاد المقـــدس. توفي سجينا بسجن الكدية بقسنطينة ودفـــن بها يوم 29 افريل 1873 م وعمره 83 ســـنة. (عزيز بن الشيخ الحداد، عريضة المتهم (من كتاب)وصايا الشيخ حداد ومذكرات ابنه ســـي عزيز، ترجمة يحي بوعزيز، دط، م.و.ك. الجزائـــر، 1989م من 140-142، أيضا عزيز ابـــن الشيخ الحداد، الوثيقة الثالثة (من كتاب)

صاحبا ثورة 1871م الشهيرة:

إذا كانـــت لالا فاطمـــة نسومر قد أسرت وتوفيت سجينة سنة 1863م كما ذكـــرنا، فـــإن الرحمانيين لم يستسلموا للعدو، وها هو المقراني وصهره ابن الحداد صـــاحبا ثـــورة 1871م الشهيرة يعلنان الجهـــاد المقـــدس لـــتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي لمجموعة من الأسباب.

أسباب ثورة المقراني وابن الحداد:

لهـــذه الـــثورة مجموعة من الأسباب، منها:

- **السبب الديني:** ومما يتمثل فيه:

إقدام المجلس البلدي بمدينة الجزائر على غلق المدارس الدينية ابتداء من غرة جانفي

وصايا الشيخ حداد، ص 62، 63، أيضا: يحي بوعزيـــز، تقـــديم كتاب وصايا الشيخ حداد، ص 16، 41، 49، 50، أيضـــا: يحي بوعزيز، ثورة الجزائر في القرنين 19، 20. ص 211).

1871م وإصداره اقرار إيقاف المساعدات المالية المخصصة للديانات، ولما كانت الديانة الإسلامية لا تقدم لها البلدية أية مساعدة، والأوقاف التي كانت تستعين بها صودرت، فقد اعتبر ذلك القرار ضربا للإسلام. يضاف إلى هذا عامل أخطر منه هو:

- سياسة التنصير التي اتبعتها فرنسا عامة ولافيجري (Lavigerie) (1825-1892م) خاصة بإطلاق يد المبشرين في التنصير، ولا سيما في منطقة القبائل بمساعدة الساسة[1] والجيش مبالغة في النكاية بالشعب الجزائري المسلم وإهانته في مقدساته ولقد رأوا رأي العين ما فعله لافيجري بأطفالهم واستغلاله البشع لمسغبة(1867-1868)

[1] خديجة بقطاش. الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871م.دط. مطبعة دحلب، الجزائر، 1992م، ص 150، 151.

[2]، ويبدوالسبب التبشيري واضحا لهذه الثورة في رسائل الاستنفار والتحريض على القتال التي استعملها المقراني نفسه[3]، حيث كان يكاتب رؤساء القبائل والباشغوات قائلا: ((لقد فتحت أبواب الجهاد في سبيل الله. ويجب عدم تفويت هذه الفرصة والإسراع بالانضمام إلى المجاهدين...وبعد، فتوكلوا على الله... وتقدموا للجهاد لنصرة دينكم غرما...))[4]وهو ما اعترف به (Leviconte de colleville

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 301.

[3] خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 152

[4] أرشيف وزارة الحربية الفرنسية، رقم الصندوق 375. رسالة رقم 8. نقلا عن يحي بوعزيز ثورة الجزائر في القرنين 19، 20، ص 202. أيضا: خديجة بقطاش، المرجع السابق ص 152، 161.

قائلا عن هذه الثورة مبرزا طابعها الديني: ((تصارع فيها أبناء لويولا مع أبناء عبد الرحمن بوقبرين أوالاخوان ضد الأباء)) [1]. ويؤكد هذا تفسير الكاردينال لافيجري كهذه للثورة. فقد اعتبرها نتيجة لمكانة القرآن في نفوس السكان مما أدى إلى تعصبهم فثاروا[2]. ويكفي دليلا على دور سياسة التنصير في إشعال الثورة المنشور الموزع من طرف الاخوان الرحمانيين الذي وقع في أيدي السلطات الاستعمارية يوم 26 أفريل 1871م الذي يبين فيه الإعداد لهجوم واسع النطاق على منطقة سهل متيجة يوم 29-30 أفريل 1871م. فقد ركز في هذا المنشور على عمليات التنصير، بل شبه ما تقوم به فرنسا في الجزائر بأمثلة عما قام الأسبان من طرد المسلمين وتنصيرهم القهري بالأندلس[3]. ولقد أدرك الجزائريون كل هذا فأدى بهم الالتفاف حول الطريقة الرحمانية.

- البؤس الإقتصادي الذي حل بالجزائريين بسبب ما فرض عليهم من الضرائب الباهضة ومصادرة أملاكهم وأنعامهم وأوقافهم، ولا سيما في الفترة 1865-1868التي حل بها الجفاف والجراد والزلازل والأوبئة. وإقدام الجيش على تدمير المطامر، مما أدى إلى مسغبة 1867-1868م، ويكفي أن نعرف أنه خلال شهرين هلك نحو250 ألف نسمة، وقد

---

[1] Levionte de colleville, les grands hommes de l'église au 19 siecle, paris, 1905, p105.
نقلا عن خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 152.

[2] خديجة بقطاش. المرجع السابق. ص 152

[3] يحي بوعزيز. الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871م مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ربيع 2 رجب 1393هـ/ ماي – أوت 1973م. السنة3. ع 14،15 (عدد خاص). ص 162.

زاد الأمر خطورة استغلال اليهود لهذه المسغبة أبشع استغلال بواسطة القروض التي أخذوا يقدمونها للمنكوبين بفوائد 100% عن الشهرين من السنة فأصبح الجزائريون يدفعون لليهود من الربا أربعة أضعاف ما يقدمونه لفرنسا من ضرائب[1]. ولكن هذا العامل إن كان له تأثير في الجوالعام للثورة إلا أنه لم يكن له تأثير مباشر في إشعالها لأن الثورة انطلقت من منطقة لم تصب بكوارث مسغبة 1967-1868م بدليل أن الزاوية الرحمانية بصدوق ساهمت بتقديم الإعانات المادية للمتضررين من تلك المسغبة[2].

- قرار أدولف كريميوالقاضي بمنح الجنسية الفرنسية جماعيا إلى اليهود الموجودين بالجزائر، وذلك بتاريخ 24 أوت 1870م. فصاروا بذلك وطنيين فرنسيين، وقد شمل 30 ألف يهودي. وقد كان كريميوالـيهودي حارس الأختام بباريس، ونائبا عن الجزائر في لجنة الدفاع الوطني الفرنسي. فاغتنم الفرصة لاستصدار ذلك القرار الذي صار بمقتضاه العميل اليهودي سيدا وحاكما يتصرف في شعب الجزائر المسلم كيف شاء كما يذكر عبد الرحمن الجيلالي. وهو القرار الذي يناقض قانون 1865م الذي سوى بين المسلمين واليهود باعتبارهم فرنسيين محافظين على أحوالهم الشخصية الخاصة بهم. فأدى ذلك القرار إلى تذمر المسلمين من الحكومة[3] التي قال عنها المقراني " يستطيع أن يفعل فيها يهودي ما يشاء"

---

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 300-302.

[2] خديجة بقطاش. المرجع السابق، ص 150، 151.

[3] أحمد توفيق المدني. كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1963م، ص 62. أيضا: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 301.

[1]. وهـــو مـــا جعل المقراني يرفض هذا القرار ويعبر عن تذمره منه باستقالته من وظيفـــته ويخاطب قومه قائلا: " لن أطيع يهوديا على الإطلاق. وإذا وقفت أرضكم بـــين يدي يهودي فقد انتهى كل شيء، ولـــن أرضـــى إطلاقـــا أن أخضـــع ليهودي"[2]. وهنا يجب أن نذكر أيضا بأنه رافق قرار كريميوبتجنيس اليهود 58 مادة كـــلها تخـــص الأهالي في الحكم عليهم بالقهـــر والإذلال مما جعل المقراني يكتب إلى حـــاكم الجزائـــر العام " لا يمكن أن نتعاون مع حكومة تجعل اليهود أفضل منا " [3]. وهـــنا أخـــذ الصراع بين المقراني وفرنسا يتخذ مجرى خاصا حيث أخذت تضايقه وتستولي على أملاكه[4]. وهو ما يدل على دور قرار كريميوفي إشعال ثورة المقراني.

- ســـقوط الإمـــبراطورية وقـــيام الجمهوريـــة الثالثة في فرنسا عام 1287 هـــ/1871م أدى إلى اضطراب الإدارة والصـــراع بـــين المستوطنين في الجزائر والسلطة في باريس. فرأى الجزائريون أن لا يضيعوا هذه الفرصة لتحرير الجزائر[5].

- هزيمة فرنسا في حربها ضد الألمان

---

[1] أحمـــد توفيق المدني. المرجع السابق، ص 62.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 301.

[3] الشيخ سليمان داوود بن يوسف تعقيب على محاضرة عثمان الكعاك "التبشير والتخطيط التبشـــيري" الملـــتقى 7 للـــتعرف على الفكر الإســـلامي تيزي وزو(10-22 جمادي الثانية 1393هـــ/10-22 يوليو1973) وزارة التعليم الأصـــلي والشـــؤون الدينـــية، الجزائر. مطبعة البعـــث، قسنطينة، الجزائر. 1395هـــ-1975 م.. م3. ص 1212.

[4] المرجع نفسه، ص 301.

[5] أحمـــد توفيق المدني. المرجع السابق. ص 62.

سنة 1287هـ/1871م[1] جعل هيبتها تسقط من أعين الجزائريين.

- استمرار شعلة الجهاد في نفوس الرحمانيين، ذلك أنهم شاركوا في رد العدوان على الجزائر سنة 1830م ولما احتلت العاصمة جاهدوا مع الأمير عبد القادر وبعده، وإذا كانت فرنسا قد تمكنت من إخماد ثورتهم مع لالا فاطمة نسومر سنة 1857م في الواقع، فإنها لم تتمكن من إخمادها في النفوس، فما أن واتتهم الفرصة حتى عادوا لإعلان الجهاد من جديد لتحرير البلاد والعباد استجابة لأمر شيخهم ابن الحداد.

- المعاملة السيئة للأهالي من طرف الإدارة والجيش. وهو ما بينه سي عزيز في رسالته إلى إيلهاك حاكم بجاية يوم 14 جوان 1871. والواقع أن كل الأسباب السابقة كان لها مساهمتها في ثورة الرحمانيين، لأنها كلها استعملها سي "عزيز" في التحريض على الثورة وكذلك كل مقدمي الطريقة الرحمانية[2]، ويمكن تلخيصها كلها في عامل واحد هو الاستعمار.

إعلان المقراني الجهاد واستمالته للرحمانيين:

إن الأسباب السابقة جعلت المقراني يقرر الجهاد لتحرير البلاد وذلك ابتداء من 22 ذي الحجة 1287هـ/15 مارس 1871م[3]. وقد نجح في استمالة الشيخ الحداد وأتباعه للرحمانيين، فأعطي بذلك لثورته طابعها الشعبي والديني، بحيث أنه

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي. المرجع السابق، ص 300.

[3] يحي بوعزيز، الحقيقة عن طور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871م، ص 166، 167.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، جـ4، ص 304.

مـــا كـــان لثورة المقراني أن تتخذ المجرى الـــذي اتخذتـــه لولا عائلة الشيخ الحداد وأتـــباعه للرحمانيين، ذلك أن هذه العائلة الرحمانـــية تمكنت من فرض نفوذها على مـــناطق واسعة من التراب الجزائري، من شـــرقي وادي الصـــومام بحرا إلى سهل الحضنة ناهيك عن منطقة القبائل الكبرى، وذلـــك بسبب إخلاصها لدينها ووطنها، ولماضـــيها المشـــرف في الجهاد ومقاومة الاحـــتلال منذ 1830م ويكفي أن نعرف أن الشـــيخ محمد بن أمزيان الحداد كان ضـــمن جنود الشريف بوبغلة في جهاده، وهوالـــذي هـــاجم زاوية الشريف محمد أمزيان بن الموهوب شيخ العرش في إيمولة يـــوم 5 مـــارس 1851 لمعارضة صاحبها للثورة، - وتعرضت لهجوم سي عزيز في 15 أفـــريل 1871م لنفس السبب- كما هاجم أيضا غريب بن علي الشريف يوم 18 مارس 1851م لماضيها المعادي للثورة منذ الأمير عبد القادر، ولمعارضتها لثورة بوبغلة، ولما تكرمت فرنسا على ابن علي الشـــريف بجعلـــه باشاغا شلاطة في 24 فيفري 1869م بسبب ولائه لها فإن أغلب أتباع زاويته انضموا إلى ابن الحداد، و لم يبق له سوى المرتبطين بوظيفته كبشاغا[1] مما يدل على مكانة هذه الطريقة والشيخ ابـــن الحـــداد في النفوس، وهو ما يجعلنا نركـــز عـــلى دور الرحمانـــيين في ثورة المقراني.

دور الرحمانيين في ثورة المقراني:

دخـــول الرحمانـــيين في هذه الثورة هوالـــذي بوأهـــا مكانتها اللائقة، بحيث أصبحت تعد أشهر ثورة بعد حرب الأمير عـــبد القـــادر، وحولهـــا مـــن الطابع الأرســـتقراطي إلى الثورة الشعبية العارمة الـــنابعة مـــن أعماق الإسلام المتوشحة بدثـــار الجهاد بغية نيل الاستقلال، وقد

[1] المرجع نفسه، ص 162-164.

أخذ "سي" عزيز يحث الناس على الجهاد قبل إعلانه رسميا بعد اجتماعات عامة في صدوق وضواحيها وتحول إلى زعيم ثائر منذ أواخر سبتمبر 1870م. وهو الذي أقنع والده الشيخ أمزيان الحداد بإعلان الجهاد يوم 8 أفريل 1871م[1] وذلك بعد اتصال المقراني بالشيخ الحداد في مارس 1871م ليضمه إلى ثورته، فوافق رغم طعنه في السن، وأعلن الجهاد المقدس على المستعمرين بعد استشارة مقدمي طريقته، وإصرار ولديه " سي" محمد الذي كان من قادة الثائر بوبغلة عام 1851م، وكان يشغل منصب قاضي "بني عبدل " و" ربيغة " و" سي " عزيز – كما قلنا – الذي كان قائد " عموشة " [2] [3]فانتشرت الثورة بسرعة مذهلة، إذ بعد إعلان الشيخ الحداد الجهاد المقدس يوم8 أفريل 1871م ببلدية صدوق عمت الثورة كل المناطق الشمالية من العاصمة إلى جيجل والقل وباتنة، وحوصرت مراكز الفرنسيين وقلاعهم في دلس وتيزي وزووأربعاء نايت ايراثن وذراع الميزان والأخضرية وبجاية وغيرها وعمت الثورة ناحيتي التل والصحراء عدا شمال مقاطعة وهران بينما شملت كل المناطق الصحراوية حتى تقرت وورقلة وذلك لما لزاوية صدوق من أتباع في هذه المناطق كاقبائل والشمال القسنطيني والعاصمة وضواحيها. ولما لها من علاقات طيبة

---

[1] المرجع نفسه. ص165.

[2] عزيز بن الشيخ الحداد، عريضة المتهم، ص 140، أيضا: الوثيقة الثالثة من وصايا الشيخ الحداد، ص 62، 63. أيضا: يحي بوعزيز، ثورة الجزائر في القرنين 19، 20، ص 211.

[3] وقد استقال من منصبه بعد تعيين فرنسا ابن علي الشريف باشاغا سلاطة في 24 فيفري 1869م فأصبح نفوذه يشمل زاوية صدوق، فتدمر عزيز من ذلك واستقال (يحي بوعزيز، الحقيقة عن دور زاوية صدوق، ص 163، 164

ببعض الزوايا الأخرى في حوض الشلف وواحات الجنوب الشرقية. فتحرك الرحمانيون والمتعاطفون معهم في كل هذه الجهات استجابة لأمر الشيخ الحداد، وها هي بعض النماذج.

- جبال بابور والشمال القسنطيني ومنطقة وادي الصومام الشرقية: تحولت الزوايات بها إلى مراكز للثورة وقد قاد المجاهدين سي عزيز نفسه. ومن أبرز قادة الرحمانيين رئيس زاوية فرجيوة، والمقدم الحسين بن أحمد الشريف المدعومولاي الشقفة رئيس زاوية الشقفة بالبابور.

- الضفة الغربية بوادي الصومام: قاد المجاهدين "سي" محمد بن الحداد، فواصل حصار بجاية وحارب أتباع العميل بن علي الشريف، وخاض معركة تالاسرويان ضد قوات وريلهاث Reilhac غرب بجاية في 24 ماي 1871م. ولكن أحد أولاد أورابح غرر به تزلفا للفرنسيين فسلمه إلى حاكم بجاية في 2 جويلية 1871م بعد استسلام أخيه "سي " عزيز للجنرال لالمان بجرجرة بيومين.

- ذراع الميزان: أعلن الجهاد باسم الشيخ الحداد مقدم زاوية سيدي عبد الرحمن الشيخ محمد بن محمد الجعدي فحاصر الرحمانيون ذراع الميزان من20 افريل إلى 2 جوان 1871م. ونشير هنا إلى أن الجعدي هذا هو الذي تسلم طابع المقراني وبعض وثائقه بعد استشهاده في معركة وادي سفلات في5 ماي 1871م[1]

منطقة تيزي وزو: تزعمت حركة الجهاد مقدمة الطريقة الرحمانية بالمنطقة السيدة خديجة بنت بلكانون أرملة الباشاغا بلقاسم أوقاسي سليل السلاطين

---

[1] يحي بوعزيز، الحقيقة عن دور زاوية صدوق، ص 167-169. أيضا عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق ص 307.

الحمـــادين كما تزعم أيضا محمد وعلي أوقاضـــي مقدم الرحمانية في بوهينون[1] وهكذا أمدتنا الطريقة الرحمانية بقائدتين عظيمـــتين: لالا فاطمـــة نســـومر وخديجـــة بـــن بلكانون، وهويدل على مكانـــة المـــرأة في هذه الطريقة من جهة وعـــلى طبـــيعة المرأة الجزائرية المخلصة لدينها ووطنها.

- **دلـــس:** تزعم المجاهدين الحاج عمـــر بن محي الدين وابن أخيه محمد بن علي مقدم الرحمانيين، وقد حاول الحاج عمـــر – رغم كبر سنه- التغرير بمحافظ شرطة دلس ليأخذ منه الأسلحة[2].

- **العاصـــمة ومتـــيجة:** دفـــع الرحمانيون الناس إلى الجهاد ووصلوا إلى ضواحي مدينة الجزاء شرقا، فنزلوا قرب برج الكيفان ونواحي الحراش، وأوشكوا أن يســـترجعوا ســـهل متـــيجة. وظهر بالعاصـــمة نفســـها السيد أحمد البدوي (ت 1301هـــ/1883م) بـــالدعوة إلى الاســـتقلال، فألقي عليه القبض وحوكم بسبع سنوات سجنا [3].

وإذا كانـــت الـــثورة قد انتشرت في المناطق السابقة فإن لهيبها امتد إلى منطقة باتـــنة والأوراس، كما انتشرت من جهة أخـــرى إلى منطقة شرشال ولا سيما بني مناصر[4]، وكذلك في الجنوب بقيادة سي ســـليمان وعمـــه سي العلاء من أولاد ســـيدي الشيخ، وعلى ذكر أولاد سيدي الشـــيخ فإنه يجب الإشارة إلى مشاركة بعـــض الطرق الصوفية الأخرى في هذه

---

[1] يحـــي بوعزيـــز، الحقـــيقة عن دور زاوية صدوق. ص 169، 170.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

[3] عـــبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق ص 303، 307.

[4] بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871 م الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986 م، ص 120-135.

الـــثورة، كالشاذلية والقادرية كما شارك فيها الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر بمكاتبة زعماء الجزائر من تونس يحرضهم على الجهاد فكتب نحو200 رسالة، وقد دخـــل الجزائر وشارك في الجهاد بكل ما يملـــك غير أن إقامته لم تطل لأسباب من أهمهـــا معـــاكس تونس له[1]. إن الحشد السابق للمجاهدين والانتشار الكبير عبر الوطن أدهش (جنرالات) فرنسا وقادتها مما جعل الجنرال لاباسي يكتب من معسكره بالقصـــر قرب بجاية إلى (الجنرال) لالمان بـــتاريخ 18 أفـــريل 1871م قائلا: " إن الجزائـــر تمر بمرحلة صعبة ودقيقة، وثورة الأخوان الرحمانيين الموزعة إلى عدة فروع دينية أثرت على أصدقاء فرنسا من تونس إلى المغـــرب، وقـــد أصبح الشيخ عزيز (الحـــداد) مثل السلطان بالقبائل" [2]. ما سبق يجعلنا نتوصل إلى أن ثورة المقراني ما كانـــت لتنتشـــر وتزدهـــر لولا ارتماء الرحمانيين في احضانها، فقد خاضوا تحت قـــيادتها 340 معـــركة كبيرة إضافة إلى المعارك الصغيرة. وقد انطلقت هذه الثورة من صدوق يوم 8 أفريل 1871م وبجاية يـــوم 16 مـــاي 1871 م[3]، وتوسعت لتشـــمل نصـــف الـــبلاد، وقـــد تمكن الرحمانيون بعد إعلان الجهاد المقدس من لـــدن الشيخ الحداد يوم 8 أفريل 1871م وتسليمه علم الجهاد لأتباعه[4] أن يجمعوا أكـــثر مـــن 120 ألف مجاهد ينتمون إلى 250 قبيلة خلال نصف شهر فقط، بينما

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 304، 305.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 306.

[3] يحـــي بوعزيـــز، تقـــديم وصايات الشيخ الحداد، ص 17.

[4] بسام العسيلي، المرجع السابق، ص 120 -135.

لم يستمكن المقراني قبل الاتصال بهم أن يجند أكثر من 25 ألف مجاهد[1]، وهو ما أعطى للثورة طابعها الشعبي والوطني كما ذكرنا قبلا. وبذلك تعد هذه الثورة التي دامت أكثر من سنة أشهر ثورة بعد جهاد الأمير عبد القادر[2] تمكن فيها المجاهدون من إلحاق ضربات كبيرة بالمستعمرين، ولكن الثورة فشلت بعد عام لأسباب مختلفة، فقد جاهد المقراني حتى استشهد في معركة واد سوفلات قرب مدينة سور الغزلان وهو قائم يصلي صلاة ظهر يوم 15 صفر 1288هـ/ 6 مايو1871م. فخلفه أخوه بومزراق في قيادة الثورة حتى أسر يوم 20 جانفي 1872م بواحة الرويسات بورقلة، كما استسلم الشيخ الحداد وابنه عزيز، واسر محمد في 2 جويلية 1872م فانتهت بذلك ثورة المقراني، وسجن الشيخ الحداد بقسنطينة ودفن بهام يوم 29 أفريل 1873 م وعمره 83 سنة، ونفي ابناه إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة بالمحيط الهادي مع بومزراق، وتوفي عزيز مسموما بفرنسا بعد 1890م وأما أخوه محمد وبومزراق فلم يعثر لهما على أثر[3].

---

[1] يحي بوعزيز. ثورة الجزائر في القرنين 19، 20 ص 202.

[1] الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دط. دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1992م ص 44.

[3] عزيز بن الشيخ الحداد، عريضة المتهم، ص 140-142. أيضا عزيز بن الشيخ الحداد. الوثيقة الثالثة من كتاب وصايا الشيخ الحداد. ص 62، 63، أيضا يحي بوعزيز تقديم كتاب وصايا الشيخ الحداد، ص 16، 41، 49، 50. أيضا يحي بوعزيز ثورة الجزائر في القرنين 19، 20، ص 202، 211. أيضا: بسام العسيلي، المرجع السابق، ص 120-135. أيضا. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 307. أيضا: محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954 ط 1. دار البعث. قسنطينة، 1406هـ/1985م،

نتائج الثورة: تمخضت هذه الثورة على عدة نتائج منها:

- الحكم بالإعدام على زعماء الثورة وبالأشغال الشاقة والنفي إلى كاليدونيا بالمحيط الهادي للباقين، ومن الذين سجنوا زوجة المقراني وبنته وبنت أخيه بومزراق[1].

- تكبيل منطقة القبائل بغرامة حربية ثقيلة، مقدارها 26 مليون فرنك من مجموع 36.5 مليون أرهقت بها كاهل المجاهدين.

- مصادرة أراضي المجاهدين المقدرة بنصف مليون هكتار ومنحها للفارين من الألزاس واللورين[2].

بينت هذه الثورة – التي تعد مثل ثورة لالا فاطمة نسومر استمرار لثورة بوبغلة – هشاشة أعمال لافيجري التنصيرية مما جعله يطلب المساعدات من أمريكا وبلجيكا وفرنسا ليعيد التخطيط والعمل كما جعلت الحكومة الفرنسية تفكر بجدية في سياسة الإدماج لتحطيم عامل المقاومة أي الإسلام[3].

الخاتمة:

ما سبق وغيره جعل الفرنسيين يتهمون حركة الرحمانيين هذه بكونها حربا دينية مبنية على التعصب الديني والعرقي، واتهموهم بالعمالة للخارج، وزعموا أن رجال الطرق الصوفية يشكلون خطرا

ص 70، 71.

[3] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص62 . أيضا: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 309.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 62 ، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 309.

[3] خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 152 ، 153.

كبيرا على الفرنسيين وأن زواياهم تحولت إلى مراكز للثورة للقضاء على المسيحيين، واعتبروا الرحمانيين بزعامة الشيخ الحداد رأس هؤلاء بسبب تأثيرهم الروحي والسياسي وارتباطهم بالقاعدة الشعبية ارتباطا وثيقا[1] وقد عبر عن هذا صراحة محضر قسنطينة عندما أكد أن ثورة الحداد وإخوانه لا تمثل إلا مظهرا للتعصب الديني، وقد نسي هؤلاء أنهم استعمروا بلد الشيخ الحداد وإخوانه الجزائريين[2].

وإذا كانت هذه الطريقة قد اهتمت بالتعليم ومقاومة الاستعمار، فإنها اهتمت كذلك بقضية أخرى لا تقل أهمية، وهي محاربة البدع والخرافات التي علقت بالدين، والتي كانت منتشرة وسط العامة والخاصة، وفي هذا الإطار فقد ألف صهر المقراني ابن الحداد كتابا خاصا في محاربة البدع التي كانت منتشرة في عهده، ولكنه مع ذلك. ظلت بعض البدع منتشرة بين مريديها، فاستغلت فرنسا هذا، وشرعت في القيام بحملة ضدها بعد ثورة المقراني، وجعلت مركزها نادي صالح باي بقسنطينة، واستخدمت المولود بن الموهوب[3] لتحقيق هذا الغرض. فألقى سلسلة من المحاضرات في مهاجمتها،

---

[1] Marcel) SIMIAN .(les Conferies Islamiques on Algerie Rahmania Tidjania. 1910.pp 5.Alger

[2] ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى يحي بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد. ص20.

[3] ولد في سنة 1866 م، نشأ وتعلم بقسنطينة، وأصبح مفتيها في المذهب المالكي إبتداء من سنة 1908 م، أسهم في تأسيس نادي "صالح باي" الثقافي سنة 1908 م وأصبح يلقي فيه محاضراته الثقافية، له مؤلفات منها: "منظومة آداب الطريق" في التصوف، حمل فيه على البدع وأصحابها، توفي سنة 1939م. (عادل نويهض. معجم أعلام الجزائر. ط2، مؤسسة نويهض الثقافية. بيروت. 1980م. ص 324).

مدعـــيا منافستها للسلفية، وقام بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها الشريف بن حبيلس القاضي الموثق، والنائب السابق في البرلمان الفرنســـي، وقد كشف النقاب عن هذه الخطـــة الفرنســـية التي استخدمت فيها الســـلفية لتحطيم الطريقة الرحمانية، أحد أعضاء لجنة البرلمان الفرنسي التي أرسلت إلى الجزائـــر تحت رئاسة الوزير الفرنسي جـــول فـــيري، وقد بين ذلك العضوأن الغـــرض مـــن ذلك هو مقاومة التعصب الديـــني الـــتي كانـــت تشخصه الطريقة الرحمانية، وهو ما اضطر فرنسا للإستعانة بـــالموظفين الدينيين بالجزائر –يقصد ابن الموهوب– لتحقيق ذلك الغرض[1].

ورغم محاربة فرنسا لهذه الطريقة، فإنها استطاعت أن تكون حصانة معتبرة، ولا ســـيما في بـــلاد القبائل، تحطمت دونها جهـــود المبشرين الفرنسيين، وخاصة في النصـــف الأخير من القرن 19. واستمر تأثيرها إلى غاية ثورة 1954م.

ومـــن خـــلال كل ما سبق يتبين لنا بوضوح مدى التزام هذه الطريقة بالكتاب والســـنة من جهة، وجهودها الجبارة في مواجهـــة الاستعمار من جهة أخرى مما أهلها للمساهمة الجبارة في تكوين الحصانة الذاتية للأمة والذوذ عن الشعب الجزائري ومقوماته الحضارية بما لا يفهم الاستعمار سواه.

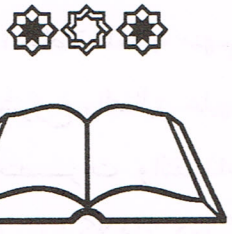

[1] المهـــدي بوعـــبدلي، مجلة الأصالة. وزارة التعلـــيم الأصـــلي والشؤون الدينية، الجزائر، جانفي. 1978. ع53، ص 30. 31.